النقد عند كانط (نقد العقل الخالص)

إيمانويل كانط هو فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (1724 – 1804). عاش حياته كلها في مدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا . كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة. وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية. كما كان كانط آخر فلاسفة عصر التنوير الذي بدأ بالمفكرين البريطانيين جون لوك وجورج بيركلي وديفيد هيوم. وقد اشتهر كانط بعمله الرائد "نقد العقل الخالص"، حيث قام بتحليل قدرات العقل البشري في الوصول إلى المعرفة وتحديد حدودها . لقد "تناول العقل وأقام له محكمة تحاسبه الحساب العسير على أعماله وادعاءاته في معرفة عالم ما وراء الطبيعة وغيرها"(1) لقد سعى كانط في كتابه إلى تحديد حدود المعرفة البشرية وإمكانياتها. فهو لا يقبل فكرة أن العقل قادر على معرفة الأشياء كما هي في ذاتها، بل يرى أن العقل يشكل تجربتنا للعالم من خلال فئات وأحكام مسبقة.

ولعل أهمية "نقد العقل الخالص" تتمثل في تجاوز الصراع بين العقل والتجربة :كان الفلاسفة قبل كانط منقسمين بين مؤيدي العقل المطلق ومؤيدي التجربة. لكن كانط حاول التوفيق بين هذين الاتجاهين، مؤكداً على دور العقل والتجربة معاً في بناء المعرفة. ومن جهة أخرى تتمثل أهمية الكتاب في تأسيس فلسفة النقد التي تسعى إلى نقد قدرات العقل وتحديد حدودها. فبعد أن شكك كانط في قدرة العقل على الوصول إلى معرفة مطلقة، اعتمد على منهج جديد أطلق عليه "النقد ."استخدم هذا المنهج للتحليل ليس فقط في مجال المعرفة، بل في مجالات الأخلاق والجمال أيضًا. وبذلك، غطى كانط مجالات الفلسفة كافة بمنظوره النقدي، مما جعل فلسفته تُعرف بـ "الفلسفة النقدية."

يشبه كانط تطور العقل البشري برحلة طويلة. في البداية، يكون العقل واثقًا جدًا من كل ما يعرفه، تمامًا كطفل صغير. هذه المرحلة تسمى الدوغمائية. بعد ذلك، يدخل العقل في مرحلة الشك، حيث يشكك في كل شيء تقريبًا. هذه المرحلة مهمة لأنها تساعد العقل على النمو والتطور. وأخيرًا، يصل العقل إلى مرحلة النضج، حيث يكون قادرًا على التفكير بشكل نقدي وتقييم المعرفة بشكل صحيح.

حينما ننتقل من نقد العقل الخالص إلى كتاب كانط "نقد ملكة الحكم" نجد فلسفة نقدية متكاملة ، ويمكن إيجاز أهم رؤى كانط في الآتي:

-إن الجمال ليس مجرد شعور شخصي، بل هو أمر يتطلب تحليلاً نقدياً. يشبه كانط الجمال بالعلم والأخلاق في أنه يعتمد على شروط أساسية ثابتة.

–الحكم الجمالي ذاتي :أي أن الحكم على شيء ما بأنه جميل يعتمد على الشخص نفسه وليس على خصائص الشيء نفسه.

–الجمال والإحساس :يرتبط الجمال ارتباطًا وثيقًا بالإحساس باللذة، لكن هذا الإحساس ليس عشوائيًا، بل ينتج عن توازن بين الإدراك والخيال.

–الجميل والجليل :يفرق كانط بين الجميل والجليل. الجميل هو ما يرتبط بالنظام والانسجام، بينما الجليل هو ما يرتبط بالقوة والعظمة.

–اللذة الجمالية التي نشعر بها عند رؤية شيء جميل هي نتيجة انسجام بين مختلف قدراتنا العقلية.

–الشروط الأولية للجمال :هناك شروط أساسية مشتركة بين جميع البشر عند الحكم على شيء ما بأنه جميل، وهي شروط ذاتية وليست تعتمد على التجربة الحسية.

ببساطة، يقول كانط :"إننا عندما نقول إن شيئًا ما جميل، فإننا لا نعبر فقط عن رأي شخصي، بل عن حكم يعتمد على قدرات عقلية معينة. هذه القدرات تمكننا من تقدير التوازن والانسجام والعمق في الأشياء"()

–يعتمد كانط في الحكم الجمالي –وبالإضافة إلى ما سبق–على الذات ، فالذوق معيار هام لقبول الفكرة أو عدم قبولها ، دون غرض أو منفعة.

ويمكن أن نلاحظ الفرق بين فلسفة كانط والفكر التقليدي عن الجمال حيث يركز هذا الأخيرعلى الجمال الخارجي للشئ، وعلى المتعة الحسية التي يسببها. بينما يذهب كانط إلى أبعد من ذلك، فيرى أن الجمال هو تجربة داخلية تتضمن تفاعلًا بين الإدراك والخيال والعقل. باختصار يقدملنا كانط نظرة أعمق وأكثر تعقيدًا للجمال، حيث يربط بين الجانب الشخصي والعاطفي في تجربة الجمال، وبين الجانب العقلاني والمنطقي.

لم يتوقف تأثير كانط عند وفاته .بل استمرت فلسفته النقدية في التأثير على الفلاسفة الذين جاءوا بعده، مما أدى إلى ظهور مدارس فلسفية عديدة تعرف بـ "الكانطية الجديدة". هذه المدارس إما تبنت أفكار كانط أو عارضتها، ولكن جميعها تأثرت بمنهجه النقدي.